2022

بسم الله الرحمن الرحيم

تدبّر آية

وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ

ابوالحسن الحنّاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الآيـات

قال ﷻ: ﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ الرحمن ١٠ ـ ١٢

التفـاسير

﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ والأرض وطّأها للخلائق ، الجنّ والإنس ، وهم الخلائقُ المختلفةُ أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم ، في سائر أقطارها وأرجائها لكي يستقرّوا عليها ، وتكون لهم مِهاداً وفراشاً يبنون بها ، ويحرثون ويغرسون ويسقون ويحفرون ويسلكون سُبلها فجاجاً ، وينتفعون بمعادنها وجميع ما فيها من كنوز، مما تدعو إليه حاجتهم ، بل ضرورتهم. وقال الضحاك : كل ما دب على وجه الأرض ، وهذا عام.

﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ وهي جميع الأشجار مختلفة الألوان والطعوم والروائح ، التي تثمر الثمرات التي يتفكه بها العباد من النَّعم التي لا تحصى ، من العنب والتين والرمان والتفاح ، وغير ذلك.

﴿ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ الحبُّ: ذو الساق الذي يداس ، فينتفع بتبنه للأنعام وغيرها ، ويدخل في ذلك حب البُرّ والذرة والأرز والحنطة والشعير ونحو ذلك ، وقيل العصف: التبن أو الورق الذي لا يؤكل ، والريحان: كل بقلة طيبة الريح سُميت ريحاناً.

ـ ويُحتمل أن المُراد بالرَّيحان ، الرَّيحان المعروف ، وأن الله امتنَّ على عبادِه بما يسره في الأرض من أنواع الروائح الطيبة ، والمشام الفاخرة التي تسُرُّ الأرواح ، وتنشرحُ لها النفوس.

لطـيفة

❖ قدَّم رب العزة ذكر الفاكهة على ذكر الحبوب والأطعمة كما في الآية :

﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾

وفي آية أخرى : ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا تَخَيَّرُونَ* وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾.

فـائدة

أخبر رب العزّة في هذه الآية الكريمة بأنه وطّأ الأرض لمعيشة الخلق ، بما سخره من نِعمٍ مختلفةٍ ومتعددةٍ لا تُحصى ولا تُعد ، ونَجدُ في آياتٍ أخرى أن الله ﷻ اختصَّ الأرض بالذّكر دون بقية النُّجوم والكواكب والشموس، وعَدَّد ما سخّر فيها من معايش كالأنهار والبحار والأشجار والفواكه والنباتات والجبال وغير ذلك فقال: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾. وقال ﷻ: ﴿ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾. وقال أيضاً: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾.

إذن فيمكن القول: أنَّ كوكبَ الأرضِ فقط هو الذى هيَّأهُ الله تعالى ليصلُح لمعيشةِ الأنام ، كما ذُكر في سورة الرحمن آية التَّدبر لدينا.

ـ ونستأنسُ بما سيكون يوم القيامة من انتهاء العالم كله وليس الأرض فقط لقوله: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾.

فوجود الأكسجين بالهواء والمياه العذب لحياة الأنسان والحيوان والنباتات والتّربة الصّالحة للزراعة ، ووجود المعادن والأحجار الكريمة بباطن الأرض ووجود الأسماك والمعادن النفيسة بالبحار والأنهار، كذلك الطيور وغير ذلك كله مُسخرٌ لمنفعةِ الإنسان وكي تصلح الحياة على ظهرها لقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ* يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ* وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ* وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

الخلاصة

الفطرة تدلّك على الله

يتوجّبُ على كل إنسانٍ ألا يفتُر لسانُه عن ذكر الله بالحمد والشّكر والتّسبيح والتّكبير والتّهليل ، شاكراً لله نِعمَه وفضلَه العظيم فقد:

- أوجدنا من العدم ولولاه ما كنَّا ولا وُجدنا
- وهدانا الفطرة السليمة دون سؤال منَّا بل منَّة منه
- وأرسل الينا الرُّسل لترشدنا اليه وتعرفنا به سبحانه وبحقّه علينا
- وسخَّر لنا كلَّ شيئٍ من حولِنا ، فكلّ الكون مسخرٌ لنا طاعةً لربه
- ورزقنا من فوقنا ومن تحت أرجلنا وأغدق علينا من فضله رحمةً بنا
- وفتح باب الإنابة والتوبة لكلِّ العاصين والمذنبين الى قبيل الغرغرة
- وبشرّنا بعطائه السَّخي فالحسنة بعشر أمثالها وأضعاف ذلك لمن يشاء الله ، وجعل السيئة بمثلها فقط ويعفو إن شاء سبحانه.

اخوكم في الله / أبوالحسن الحناوى

فيينا في أول مارس 2022